اصوات من تاريخ قديم

ـ ١ ـ سيف الدولـة

أدخل حلب الشهباء طليقا أو مأسورا
أغـزو ..
أطعن صدر الروم ، واهتك درع الروم
وأجمع اسلاب الهلكى ، والمذعوريـن
أتحوّل في يوم النصر بيارق وفيالق
ونسورا شمًّا .. وميامين
أدخل حلب الشهباء ، طعينا أو منصورا
أدخل في ركبك يا سيف الدولة ، خلف غبار الفتح ،
وأغفـو ..
أصحو في ركب صلاح الدين ..
تثقلني باقات النصر ، وتحملني أعناق المنصورين
تدفعني موسيقى ، لم تعزفها ارض بلادي .. منذ سنين
وانـادي ...
من قـاع الحزن أنادي ..
فأنا يا سيف الدولة دمع في عين بلادي
يا سيف الدولـة :
كل سيوف العرب تصلصل في الاغماد ،
تهسهس في صدأ الاقفال ..
يا سيف الدولـة :
كل خيول العرب تحمحم في الاوتاد ،
وتصهل في نوبات التذكار ..
تحمل تاريخـا مذعورا ..
فلعلّ الفارس يصحو ، ينهض من كبوته ،
يمسح صدأ الحزن ،
ويغسل عـار الاشعـار !

***

يا سيف الدولـة :
أبناؤك ـ يا للعار ـ
في سوق الهلكى باعوك ...
وعلى اسوارك في يافا ـ آه يا يافا ـ صلبوك
وعلى ارضك في عمـان الثكلى داسوك
داسوا وجهك ، وجه احبائك في حطّين
القوا باسمك ، باسم بلادي ، في قلب الطين
سقطت خيلاء الفتح ، وضاعت رايات الشهداء
مزقا تحت خيول الفلك الدوّار
واصفرّت أشعار كانت باسمك مجلوّة
تهتز اباء وحميّة ..
« وأبو الطيب في صدر المجلس يختال بقافية عنقاء
ويقارع غربان الشعر ، وانصاف المغمورين
ويرد سهام الموتورين بنار من كلمـات
كلمات غضبى .. عربية .. »
المادح أغفى .. والممدوح ..
لكن الخلق جميعا سهروا يختصمون ويحتكمون
وسراياك تدق قلاع الروم ، تدك عروش الروم
وتعود بوجه النصر ، ووجه الشّعر
لكنا نحن سقطنا عن صهوات الخيل ، وعـن صهوات الشعر
لما صرنا أسرى أو فارّين
وتدور عباءات سوداء ..
بحثا عن وجه عربيّ معبود
بحثا عن يوم عربيّ موعود ..
يحمل شمم العرب ، ويغرس في قلب الصحراء
أغصان سلام .. ومنائر ..
ميلاد فتوح .. وبشائر
وتدور عباءات سوداء ..
تتشبث بعروق الغبراء
وبحبة رمل في صحراء ..
والكـلّ هبـاء !

***

أتساءل يا سيف الدولة :
هل ضاعت من ايدينا كل مفاتيح الحكمة ؟
فسقطنا في بئر النسيان .
وأكلنا ثمر العدم الاسود
وضللنا الدّرب ، فنحن نجوب صحاري التيه
تتقاذفنا ليلات الرعب ، وأوهام المخمورين
لكن ... لا لوح .. ولا كلمة ..
لا فجر يشير .. ولا نجمه ..
تصطدم الظلمة بالظلمة ..
ونظل حيارى .. مشدوهين ..
أتساءل يا سيف الدولـة :
هل فقدت نار جوانحنا وقد الهمّه ؟
نقرأ له الآن فلا نرتاع ولا نهتز
او لسنا موتى مقبوريـن
والموتى .. هل يدميهم وخز (*) ؟

القاهـرة

فاروق شوشـة

---

* هذه القصيدة من ديوان « العيون المحترقة » الـذي يصدر عن دار الآداب قريبا